المصدر: الوطن
التاريخ : ٩ ابريل

هل يلفظ الحزب أنفاسه الأخيرة مع انتهاء حكم "الزعيم الأوحد" في العراق؟

"البعث" أمام احتمالين: التصفية... أو قيادة جديدة من حزبيين اضطهدهم صدام

عمان: خليل الشوبكي

حالت رائحة البارود المتصاعدة من المدن العراقية كافة وللمرة الأولى منذ 34 عاما دون أن يحتفل حزب البعث العراقي بذكرى تأسيسه الذي صادف أول من أمس الاثنين، (7 أبريل 1947م) وبدلا من شموع وخطابات وأهازيج وأغنيات عادة ما تتولى الإذاعة والتلفزيون بثها على مدى "السابع من أبريل" من كل عام بالإضافة إلى مئات المقالات التي تمجد البعث ورمزه صدام حسين في أعداد خاصة تصدرها الصحف العراقية التي تخضع مع باقي وسائل الإعلام إلى إشراف مباشر من "مكتب الثقافة والإعلام" التابع للحزب الذي كان استولى على السلطة في العراق في يوليو 1968م، استفاق البغداديون على هدير الدبابات الأمريكية تجوب قصور الرئاسة العراقية أحد رموز السيادة الوطنية.

وكانت السلطات العراقية تحيي "ميلاد" الحزب الذي أسسه عدد من القوميين السوريين بزعامة ميشيل عفلق في عام 1947م باعتباره حدثا سياسيا وثقافيا قبل أن تقرره في أوائل ثمانينيات القرن الماضي "يوما وطنيا" تخصص له الاحتفالات على امتداد الدوائر والثكنات والجامعات والمدارس وينخرط في إحيائها نحو مليوني عراقي تقول التقديرات غير الرسمية أنهم أعضاء الحزب الذين كانوا عادة ما يتمتعون بامتيازات استثنائية بالمقارنة مع عموم الشعب العراقي.

السنوات الأولى صراع الجناحين

وشهدت السنوات الأولى لمجيء "البعث" إلى السلطة في العراق صراعا مع جناح الحزب الذي كان يحكم في سوريا وتفاقم الصراع مع "الحركة التصحيحية" التي حملت السوري الرئيس الراحل حافظ الأسد إلى الحكم، وشهدت علاقات الجناحين الحاكمين لـ"البعث" في بغداد ودمشق حملات سياسية واتهامات راح ضحيتها من الجانب العراقي عدد من القيادات التي اتهمها الرئيس صدام حسين "بالعمالة إلى سوريا" وذلك أثناء تنحيته الرئيس أحمد حسن البكر وتوليه الرئاسة في يوليو 1979م، فأصدرت محكمة حزبية أمرا بإعدام 42 قياديا بعثيا اتهموا بتدبير "مؤامرة لصالح النظام السوري".

وتفاقم الصراع بين جناحي "البعث" مع الحرب العراقية الإيرانية حين رفضت دمشق تأييد

ميشال عفلق

بغداد معتبرة أن "الحرب تضر بمصالح الشعب العراقي وهي ضد صديق للعرب". كما ندد سوريا بغزو الكويت وأرسلت قوات للمشاركة في عملية عاصفة الصحراء بعد رفض بغداد دعوات للانسحاب كان وجهها الرئيس حافظ الأسد، غير أن العلاقات شهدت تحولا نحو التطبيع ابتداء من عام 1998م وتصاعدت إلى حدود التعاون الاستراتيجي بعد تسلم الرئيس بشار الأسد مقاليد السلطة خلفا لوالده.

من القائد؟

وكانت بغداد اعتبرت صدام حسين "أمينا عاما" للحزب بعد وفاة "القائد المؤسس" ميشيل عفلق الذي

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

توفي في بغداد عام 1989م فيما كانت دمشق تعتبر الأسد هو الأحق بتسمية "الأمين".

وانعكس الخلاف العراقي السوري في قيادة "البعث" على تنظيمات الحزب في الدول العربية، فكان هناك جناح تابع لبغداد وآخر لدمشق في عواصم عربية مثل بيروت وعمّان والخرطوم وصنعاء.

وبعد وفاة عفلق أعلنت بغداد أن "المؤسس" كان أعلن إسلامه وسمى نفسه "أحمد" في محاولة على ما يبدو لركوب الموجة الإسلامية التي بدأت معالمها تتصاعد في أوائل التسعينيات. وتعتبر قيادات بعثية عراقية تحولت إلى معارضة الرئيس صدام حسين أن "الحزب في العراق لم يعد تنظيما فكريا مبدئيا بقدر ما تحول إلى جهاز أمني للدفاع عن الحكم". وتضم تلك القيادات مدنيين وعسكريين وخبراء اقتصاديين وأكاديميين ودبلوماسيين كانوا إلى فترة قريبة من دعائم الحياة السياسية في العراق الجمهوري الذي بدأ مع انقلاب الرابع عشر من يوليو 1958م.

محاولة إغتيال قاسم

وكان البعث قاد محاولة اغتيال أول رئيس للعراق هو عبد الكريم

صدام حسين

قاسم، وفيها اشترك صدام حسين إلى جانب أربعة مسلحين في عام 1959م حين ضرب موكب "الزعيم" ما أسفر عن إصابة قاسم وتصاعدت حملة ضد البعثيين شارك فيها الشيوعيون الموالون للحكم آنذاك.

ونفذ البعث بالتعاون مع خصم عبد الكريم قاسم، وهو عبد السلام عارف انقلابا دمويا أوصله إلى الحكم في فبراير 1963م إلا أن التحالف البعثي – العارفي لم يستمر طويلا فقام عارف بإبعاد البعثيين وسجن قياداتهم في نوفمبر من العام ذاته. وبعد وفاة عبد السلام عارف في أبريل 1966م بحادث سقوط طائرة هيلوكبتر في البصرة، تولى شقيقه عبد الرحمن عارف الحكم إلا أن

www.ethraadl.com

"ضعف" الأخير كما يقول مؤرخو العراق الجمهوري كان سببا لدخول "البعث" إلى الحكم مرة أخرى وذلك في يوليو 1968م وتسمية أحمد حسن البكر رئيسا.

مصير البعث

وبعد كل السنوات الدموية في تاريخ البعث العراقي جاءت ساعة الحقيقة لتجيب عن مصير هذا البعث في العراق.

هناك نظريتان تتحدثان عن مصير حزب البعث بحسب محللين سياسيين، الأولى لا تكتفي بترجيح انتهاء الحزب بزوال النظام العراقي بل تذهب إلى حد فرض حظر تام على الحزب في المستقبل استنادا إلى فكرة أن تطهير العراق من البعثيين الذين أصبحوا جزءا من تفاصيل الرئيس المتجذرة في بنية العراقيين بحاجة إلى سنوات طويلة جدا لاقتلاعهم، بالتالي لا بد من فرض حظر على نشاطهم حتى يتم تكوين العراق الجديد وترسيخه بمفاهيم ديمقراطية جديدة لدى المواطن العراقي.

أما النظرية الثانية والتي يروج لها البعثيون المعارضون لنظام صدام حسين يقولون إن العيب ليس في حزب البعث إنما في صدام حسين ومجموعته الذين اغتالوا فكرة البعث لا بل سرقوها وحرفوها عن مسارها الصحيح.

ويرون أن فكرة البعث القائمة على علمانية الدولة أي فصل الدين عن الدولة هي أنسب طريقه للتعامل مع الديمجرافية المعقدة للعراق، فلا مكان لكي يطغى مذهب ديني على آخر أو قومية على سائر القوميات.

وقالوا من الممكن أن يتعايش حزب البعث مع سائر الأحزاب التي قد تنشأ في المستقبل على غرار تجربة الحزب الشيوعي في روسيا وأوروبا الشرقية على الرغم من انهيار دولة الحزب أو حزب الدولة.

ولكن وبعد ثلاثة عقود من حكم حزب البعث للعراق عادت كل ملة إلى أصلها وجذرها "على الرغم من أن شهادة وفاة البعث لم تصدر رسميا بعد وأن كانت روحه باتت تلفظ أنفاسها الأخيرة"، فنجد الشيعة على سبيل المثال في ميناء أم قصر عادوا إلى ممارسة طقوسهم التي كانت محظورة سابقا في عهد نظام صدام، والأكراد يبحثون عن دولة أو شبه دولة ومعارضو صدام من السنة يحاولون صياغة دور لهم عدا عن التجمعات الأخرى الحزبية والقومية والاثنية.

www.ethraadl.com